

ترتین القلب لنظر الرب



ترتین القلب لنظر الرب

أنا هید السمیری



بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

<http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/#/>

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستادة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستادة فهي

موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستادة أناهيد)

<http://www.muslimat.net/>

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله

وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.



من عناصر الدرس :

كل شأن يكون فيه العبد إما أن يكون فيه :

- حاضر القلب
- أو غائب القلب

من المهم معرفة أن :

- (١) الناس يشتركون في النظر إلى ظاهرنا.
 - (٢) الله هو الذي ينظر إلى قلوبنا.
- فالأولى بنا أن نجتهد في تزيين القلب لأنه مكان نظر الرب .

• تزيين القلب للربّ يدور حول ثلاثة أفكار:

١. أن الله ينظر إلى قلوبنا.
٢. تزيين قلوبنا لله لأنه محل نظر الرب سبحانه.
٣. إذا كنا ننظف ونرتب ونزين مظاهرنا للناس فالأولى أن ننظف ونرتب ونزين قلوبنا لنظر الله.

• سبب الاهتمام بالقلب ونظافته وتزيينه:

١. وضع الناس في مكائهم الصحيح قال بعض السلف: "من عرف الناس استراح فلا يطرب لمدهم ولا يجزع لدمهم فإنهم سريعو الرضا سريعو السخط والهوى يحركهم"
٢. لأن الله وحده يستحق أن أبذل جهدي في تزيين قلبي له. لأنه هو الذي يسمعنا ويرانا ويجبرنا ويلطف بنا.

• أثر تزيين القلب لله :

- من جعل الربّ قبلة قلبه فإن ربّ الناس سيأتيه بالنّاس.
- من جعل النّاس قبلة قلبه خسر النّاس وخسر ربّ الناس.



- كيف أُزِين قلبي لله ؟

١. أتعلّم ما هي أمراض القلوب.
٢. الانشغال بملاحظة تربية الله للعبد.
٣. وضع العين على القلب وقت الحدث.

- خطوات تزيين القلب لنظر الرب:

- (١) تنظيفه من الأمراض.
 - (٢) ترتيب القلب على الأولويات وستر عوراته.
 - (٣) تزيين القلب بالعبادات القلبية .
- المشاعر رأس مال الإنسان عليه المحافظة عليها وعدم تبذيرها لأنها هي التي توصله إلى الله .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعل مجلسنا مباركًا تحيط به الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده، ونحن نجتمع في هذا المكان الذي
نسأل الله -عز وجل- أن يكون مباركًا بنا وبقلوبنا المريدة وجهه وحده لا شريك له.
نُدرك أنفسنا أن كل شأن وكل حال يكون فيه العبد:

١. إما أن يكون حاضر القلب

٢. وإما أن يكون غائب القلب

مثلاً أعظم المسائل التي نعيشها وهي الصلاة، كل الصلاة دائرة حول قلوبنا، وانظروا إلى مدار حياتنا من جهة السعادة
سنجد أن قلوبنا هي مصدر هذه السعادة أو عكسها.
فإذا كانت قلوبنا هي في الحقيقة مصدر حياتنا فهي أولى الأمور بالاعتناء والاهتمام بل الذي يجعل قلوبنا أولى الأمور
بالاعتناء والاهتمام أن الله لا ينظر إلى صورنا وإنما ينظر إلى قلوبنا.
وإذا كنا نعني بمكان نظر الضيف في بيتنا فنرتبه ونسقه ونزيته لأننا نحب أن ضيفنا لا يرى إلا أحسن الأمور، فعلى
ذلك علينا أن نجتهد في تنظيف قلوبنا وتطهيرها وتزيينها.
وعلى هذا سيكون موضوعنا اليوم كيف نصل إلى هذه الغاية العظيمة "أن يتزين القلب لله".

في هذه الروضة من رياض الجنة -نسأل الله أن يجعلها حقاً روضة- سيكون مقصودنا في النقاش "كيف أتزين لله؟"
ونحن نرى أن كل الناس بدون استثناء وكل النساء خاصة في لهفة شديدة للتزيين، والناس يتنافسون في تزيين مظهرهم،
وتزيين بيوتهم، حتى تزيين ما يكتبون، وكل الناس اليوم يتكلمون عن الترتيب والتنظيم ووصل الأمر إلى حد الهوس به!
بل أن كثيراً من الناس تجدد في قلبه رفع لمنزلة الكفار الذين ستمهم الله ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾^١ لأنهم منظمين، لأنهم مرتبين!
هذه المشاعر في قلوبنا تجاه الترتيب والتزيين والتنظيف وحسن المظهر والزينة..والخ، نحن جميعاً نحتاجها، لكن لتتفق على
المكان الأول الذي سنقوم فيه بالعمليات الثلاثة: بالتنظيف والترتيب والتزيين؛ لأن هذا المكان سينظر له الله فهو أولى
الأماكن بهذا الاهتمام، وكل النساء بل وغيرهم لا يلامون أبداً على عنايتهم بالترتيب والتنظيف وبالتزيين، وكم تختار
النساء في بيوتهن في وضع هذه الوردة هنا أو هناك، أو وضع هذا الشيء هنا أو هناك، وهذه الحيرة أيضاً تأتي في الصباح
لما تأتي نلبس ونخرج، فما نحن نجتهد اجتهادات متعددة لنصل إلى هذا، وكلما كان ضيفنا عزيزاً والناظر لنا أكثر مكانة،
كان اهتمامنا بهذا أكثر، ثم نتزين بالروائح الطيبة وهذا كله المحسوس لا بد أن نحوله للمعنوي.



وهنا قاعدة مهمة جدًا في الحياة وهي:

أن الله جعل كل شأن مادي يشير إلى شأن معنوي متصل بالإيمان
ومن أجل أن نفهم هذا الشأن نتصور الأمثال في القرآن.

شأن معنوي متصل بالإيمان

كل شأن مادي محسوس يشير إلى

ففي سورة النور مثلاً ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾^٢ فلما تتصورون المصابيح المحسوسة تتصورون نور الإيمان في قلب المؤمن.

وفي سورة الرعد مثلاً ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾^٣ في كل مرة ترون واديًا خاليًا ثم ينزل عليه مطر تتذكرون القلوب، الغيث من السماء بالعلم، الأمراض التي في القلب تخرج وهكذا.

ولذلك لما تسمعون في سورة الحج وهي من أعاجيب السور فيها السجود، فيها الانكسار، فيها الذل، ثم يأتي ﴿وَبَشِّرِ

الْمُخْبِتِينَ﴾^٤ محبتين مثل الكلمة التي نقولها "خبت" والشباب غالبًا يحبون أن يخرجوا للخبوت وهي الأرض السهل التي

تطأها الأقدام وفي مستوى أقل من الأرض المستوية، فالخبت من الأراضي الذليلة التي ليست على المستوى العادي للأراضي، تصور ذاك وتصور المخبتين حالتهم أنهم منكسرين، فكل الأمور المحسوسة لها ما يقابلها في الأمور المعنوية، إذا فطنت لهذا فليس هناك شيء يمر عليك إلا وأنت ترى تربية الله فيه، لو فطنت أن الجبل عالي والسهل منخفض والجبل هذا العالي إذا سقط الماء عليه لا يستقر عليه إنما يستقر في المنخفض، فأنت إذا رفعت رأسك على الشريعة، على الدين، على النص، لن يستقر في داخلك علم، وإذا انخفضت وانكسرت يستقر مثل هذا السهل.

وفي سورة إبراهيم مثلاً ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^٥

في كل مرة ترى فيها النخلة تتصور قلبك فيه الأصل الثابت، عمك صاعد إلى السماء كالفرع، يفتح لك أبواب جديدة من العمل الصالح وصلاح القلب كالثمرات.

^٢ سورة النور آية ٣٥

^٣ سورة الرعد آية ١٧

^٤ سورة الرعد آية ٣٤

^٥ سورة إبراهيم آية ٢٤



إذن موضوعنا "كيف ترتيب قلبك لنظر الله" لماذا ترتيب؟ في حياتنا في أماكننا في أشكالنا في أبداننا، ننظفها نرتبها نزينها من أجل نظر الذين حولنا، والشريعة تأمركم بأن تكونوا على الحد الصحيح في النظافة والترتيب والترتيب، لا تزيدوا عن الحد الصحيح، هذا كله اهتمام بنظر الناظرين إلينا، وبقي شيء مهم؛ وهو نظر الله إلينا كيف سنتزين له؟! أنت في الشريعة أمرت بالسواك من أجل أن لا تكون لك رائحة سيئة مع الناس، الظاهر كله مطلوب منك ومهم ولكنه ليس الموضوع الأساسي، كأنه يقال انظر كيف الشريعة أمرتك في ظاهرك أما قلبك مكان نظر الرب ما هو المطلوب؟ زينته لله، والناس يكفاهم ظاهرك فقط أما قلبك فالله هو الناظر إليه فستعيش مهمتهم أن تزين قلبك وأنت متيقن أن الله ينظر إليها.

وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))، إذن عندنا معلومتين مهمتين جداً:

- ١) ما يشترك الناس في النظر إليه - الذي هو مظهرنا - الله لا ينظر إليها.
- ٢) الله ينظر إلى قلبك الذي بين جنبيك، فما نجتهد فيه للناس من ترتيب مظهرنا، يجب أن يكون أضعافه في قلوبنا.

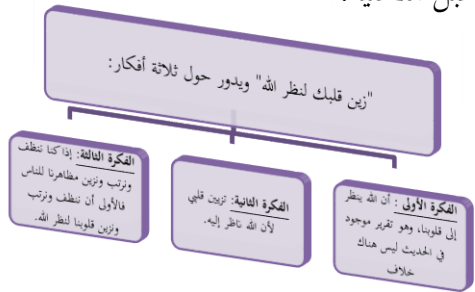
إذن علينا أن نزين قلوبنا لنظر الله

والله ينظر إلى قلوبنا - كما مر في الحديث - ثم نقوم بالعمليات الثلاثة التخلية قبل التحلية:

● ننظف

● ونرتب

● ونزين بواطننا كما أننا نزين ظواهرنا.



لماذا الاهتمام بقلبك ونظافته وطهارته وترتيبه هو الأولى من كل شيء؟!

١. ضع الناس في مكانهم الصحيح، قال بعض السلف: "من عرف الناس استراح فلا يطرب لمدحهم ولا يجزع لذمهم فإنهم سريعو الرضا سريعو السخط والهوى يحركهم".

٢. الله وحده يستحق أن أبذل جهدي في ترتيب قلبي له.

الناس حولك كل تفكيرهم أن تنتقل فتصبح صورة لهم، وإذا أصبحت صورة لهم - ولو جزئياً - رضوا عنك، في أفكارك، وفي كلامك.. حتى المصطلحات التي تستعملها المجموعة مع بعضها تكاد تصبح مصطلحات منطبقة والسبب أنه من أجل أن نرضى عن بعض فنستعمل لغة بعضنا البعض، ولهذا لو حصل أي تغيير في فكرك والجماعة غير راضية عنك ستعمل عملية إقصاء مباشرة.



لذلك بذل الجهد لهم في التزيين هذا جهد في فراغ وهو جهد ضائع!! ستأتي اللحظة التي ستحصل فيها حالة انكسار بينك وبينهم.

فلما تكون غاية في الطاعة والاستسلام لصاحبك ثم تأتي لحظة يكون قد ملّ منك، فيقولون له ما بك على فلان مع أنه يسمع كلامك ولا يخالفك؟! تقول أنه قد ملّ، وليس عنده رأي، أولاً كان الاستسلام لذيد له، وبعد فترة من الزمن أصبح ليس عنده رأي! وقد كان يقول لك ليس عندي صاحب إلا أنت، وأنت كل حياتي... لكن لا تصدقوا! ستأتي رياح تنقله نقلاً كاملاً.

إذن لا بدّ أن نحرك قلوبنا ونضعها في المكان المناسب، العلاقات الإنسانية مطلب شرعي لكن الاهتمام بها غاية الاهتمام هي المشكلة.

فالناس كلهم الذين تزين لهم يتركوك ويخرجون، وتتعب نفسك بعد هذا كله ولا أحد يرد عليك، وكم مرة بذلت جهدك وبذلت جهدك ثم قالوا لك الألوان الغامقة ليست حلوة عليك! اليوم شكلك ليس جميل! وأنت مسكين قد بقيت طوال الليل ترتب وتنظم من أجل أن غداً تأتيك كلمة إعجاب!

هل تعلمون مفهوم (الاستجداء)؟! بلغتنا الدارجة معناه واحد (يشحت) هذا المفهوم هو الذي نفعله ليل نهار مع الناس، يعني نرتب نفسنا جدّاً وعبوننا ننظر إلى الناس وكأننا نقول لهم : قولوا لنا كلمة ترضي خاطرنا! نرتب عملنا تماماً ثم ننظر إليهم هيا قولوا شيئاً حقاً إنه (استجداء) ولا نفكر في المقابل فإن هؤلاء الناس سريعو الرضا سريعو السخط والهوى يجرهم، إذن لا يستحقون منك أن تنشغل وينشغل قلبك بالتزيين لهم؛ لأن الذي أتعب نفسه من زمان وجلس يزين ويزين ويزين نفسه لهؤلاء الناس ذهبت جهوده.

إذن نزين قلوبنا لله، أول سبب أن أي أحد غير الله لا يستحق أن أبذل كل الجهد له، وأنتم في مرحلتكم الجامعية أكثر ناس تزينون لهم هم (الصاحبات) فلذا كل الجهد ذاهب معهم، فنقول أي أحد غير الله لا يستحق لأن كل الناس حولنا رياح هوى تأخذهم، وهذه حقائق مهما التفتنا حولها فإنها تبقى حقائق لا تتغير بتغيّر الأيام والأحوال.

ما السبب في أن الله وحده هو الذي يستحق أن أبذل جهدي في تزيين قلبي له؟!!

لأن الله هو الذي يسمعنا ويرانا ويجبرنا ويلطف بنا.

أول وأهم شيء في كل هذه المسألة أنه القريب الذي يسمع شكواك، وينظر إلى حالك، ومناجاتك له، فمناجاتك له كالجهر عنده، يسمعك كأنه جهازاً، الله الذي تزينين قلبك له لأنه الجبار الذي يجبر قلبك، فقلوبنا مليئة بالكسور، مليئة بالجروح، مهما وصفنا للناس لكي يطيبونا فإنهم لن يسدوا علينا ثغراتنا.

كل المشكلة التي نعانيها أننا نعرف هؤلاء الناس الذين نزين لهم معرفة فاحصة، نعرف ما يعجبهم من ألوان، ماذا يعجبهم من أشكال، ولما نأتي نريد أن نرى أنفسنا هل نحن نعرف ربنا؟! فنجد علامة استفهام أمام معرفته!! لذلك نجد



أنفسنا مجتهدين في تزيين أنفسنا لمن حولنا ولا نجد أنفسنا مجتهدين في تزيين قلبنا لربنا! العلة أننا نعرف الناس الذين هم حولنا لكننا لا نعرف ربنا!! فلما الله يريبي تربية طويلة عريضة على قدر حياتنا.

مثلاً تكون متأمل أنك لما تطرق باب صاحبك سيرد عليك بأحسن الكلمات، فتطرق بابه، الله لا يعطيك من عنده أحسن الكلمات؛ لأنه لو أعطاك زدت تعلقاً به ثم تأتي اللحظة التي تنكشف حقيقته، فالله يريبيك..

مجروح، جبر قلبك عند الجبار، مكسور، يجبرك الله، ترى نفسك أسير الخلق؟ الله عنده حرية العبودية، إلى أن تصل إلى طبّ قلبك، لما تجد قلبك قد تطبّب لكن هذا التطبّب كله يجتمع في اسم دائماً نكرهه، لما تنتهي من الصلاة نقول:

((اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ))^٦ وما أطيب السلام!

وسأتكلم بلغة المعاصرين يقولون: (كوّني سلاماً مع نفسك) والسلام جميل والذي سيجعلني أعمل سلام مع نفسي أني أعرف الله (السلام) وكيف أنه سالم من كل نقص وعيب، فمهما بحثت عند هؤلاء أهل النقص والعيب لن أجد لا صاحب ولا قريب ولا أب ولا أخ ولا زوج سلام:

■ كل واحد يده تمتد إلى قلبي فتجرحني من جهة.

■ كل واحد لسانه يمتد عليّ فيقول كلمة لا تناسبني.

■ كل واحد له نظرة لما أفعل ما يخالفه.

فليسوا سلام أبداً إنما الله هو (السلام) السالم من كل نقص وعيب، تأتيه بكل ذنوبك التي يمكن أن تكون بلغت عنان السماء وتنكسر بين يديه تقول يا رب تبت، يحسها كأنها لا شيء! تطلبه يجيبك، تسأله يعطيك، تناجيه يسمعك، تعرف أنه السلام، لكن نحن قلوبنا امتلأت امتلاءً بمعرفة غيره! تشتتنا وامتلاً قلبنا وتزينا لغيره، هذا التشتت يساوي أني أتشتت طوال حياتي.

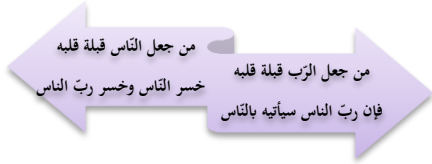
مثله لو تعرف معنى اسم (الصمد)، أول ما يحصل شيء قلبي مباشرة يفزع لهؤلاء وهؤلاء وفي كل شأن تفزع لهؤلاء وهؤلاء، لو عندكم شؤون متعددة وقيل لكم واحد فقط عنده لهذه الشؤون كلها ما تريد، يعطيك كل ما تريد، هذا أسهل أو كل شأن تذهب فيه لأحد؟!!

فمثلاً تريد أن تنجح في الدراسة، وتريد زوجة، وتريد أولاد، وتريد بيت، وتريد استقرار نفسي.. إلى آخره، وكل حاجة من هذه الحاجات لها طريق للحصول عليه، أليس كل هذه التفاصيل في الحاجات لها واحد يكفيك إيّاها؟!!

ثم إذا قيل لك الواحد قريب يسمعك يراك، وإذا قيل لك أيضاً هذا الواحد العظيم إذا فزعت بقلبك أول فرعة له سد عنك كل مرادك، الصمد الركن الشديد الذي يعتمد عليه وتفزع له الفرعة الأولى.



لهذا من الأولى أن نزين قلوبنا لربنا، فهو الذي يعطينا كل حاجاتنا ومراداتنا ويسمعنا ويرانا وقريب منا وهو السلام كامل الصفات، وأول فزعة إذا فزعتها إليه أعطاني كل مرادي ..



ما الأثر لو تزين قلبك لله؟

أن يجعل عليك زينة يراها أهل الإيمان قبل غيرهم، يُمسح عليك بمسحة لا تعرف تقديرها، ولذلك (إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل، إن الله تعالى يحب فلاناً، فأحبيه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)^٧ يُمسح مسحة مختلفة عن مسحة العالمين، أنت لن تخسر الناس، أنت بل سيأتي لك بالناس رب الناس، لكن لما تجعل الناس قبلة قلبك ستكون خسرت الناس وخسرت رب الناس، وهذه الغلطة الدائمة التي نعيشها، أننا دائماً نجعل حاجاتنا تفكيرنا فيها أنه مبني لمن عنده حاجتي.

مثال: حاجة المرأة عند الزوج رضاه محبته.. إلى آخره، دائماً تفكر فيما يرضيه، والصحيح أنا أرضي رب العالمين ورب العالمين يلقي في قلبه المحبة، ولذلك هي آية من الآيات وهذا في كل شأن، والديك معلميك من أردت، العلاقة دائماً ثلاثية (مني، لرب العالمين، ومن رب العالمين لمرادي) ولو لم تفعل القاعدة الثلاثية يطول عليك المشوار.

كيف أزين قلبي لله؟

التخلية قبل التحلية، أولاً أنظف أطهر ثم أرتب ثم أزين، نفس قاعدتنا في بيوتنا وفي أشكالنا وفي كل شيء. نتطهر من أي شيء؟ سنتطهر مما ابتلينا به من أمراض القلوب، وهذه أمراض القلوب مشكلتها أن لا طبيب يشخصها، ليس هناك أحد يشخصها إلا نفس المريض.

مثلاً أشهر مرض الناس يعيشونه مرض (الحسد) هذا الذي نجامل بعضنا فيه ونسميه (الغيرة) الغيرة بالضبط هي الحسد لكننا عملنا لها تأنيق، هذا المرض نمارسه في القلب بمقدار الذرة، بمقدار اللمحة، فليس من أجل أن تكون حاسد تحتاج إلى نصف ساعة! لا بل من أجل أن تكون حاسد كل القضية أن تسمع خبراً حسناً عن أحد فتشعر بوعكة في قلبك! تشعر بألم في قلبك أن خيراً نزل على أحد، يأخذ منك لمح البصر، إذ لم تكن عينك على قلبك لن تراه. تستطيع أن تقنع ألف شخص وتقول: أنا لا أحسد ولا أحب الحسد، واعمل استقصاء عند أصحابك من يعرف عن نفسه أنه يحسد؟! كل الناس يظنون في أنفسهم أنهم لا يحسدون! لأن الحسد أصلاً كمرض ليس تام الظهور.



ترزين القلب لنظر الرب

إذن فلنبداً بالأمراض لأن التطهير واجب علينا من أجل أن يصبح قلبنا نظيفاً، الله ينظر إلى قلوبنا، فقلوبنا هذه -مكان نظر الرب- إن كانت مليئة بالأمراض وأنا ما نظرت لها وطهرتها ينظر الله لك تنفعل بأمراضك. هذه الأمراض كيف نظهرها؟! أول خطوة ليحصل التطهير لا بد من تمييز الوسخ، لأننا أصبحنا نقبلها على أنها دليل الصحة!

مثال: هذه الكلمة الرنانة (التنافس) الناس يرونها أنها مظهر من مظاهر التقدم أننا نتنافس وبنافس بعضنا ونصل ونجح، ومباشرة يأتوا لنا بشاهد من أواخر سورة المطففين ﴿خِطَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾! هذا الشاهد ليس في مكانه لأن الله لما قال ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أشار إلى ما عنده ولم يشير إلى ما هو موجود في الدنيا.

إذن مفهوم (التنافسية) إنما تسمية أنيقة لمرض خطير، يأتي من يقول ليس هناك شيء يحمسنني أن أقوم بالعمل! نقول لو طهرت قلبك جيداً ستجد ما يدفعك للقيام بالعمل، ستلحظ رضا الله عنك في كل شيء، لكن المشكلة أننا نحمل مرض فوق مرض فغطت علينا الرؤية، أصبحنا لا نعرف الحقيقة.

سأمرّ على الكلام مروراً وبعد ذلك أنتم دوركم أنكم تبحثون عن التطب للقلب، هذا دور كل واحد منا، اللقاء لمجرد الإضاءة في سورة القصص :

الله . عز وجل . لما وصف فرعون قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^٨ ثم يأتي قارون الصورة الانعكاسية للعلو) ثم يقول لنا ربنا ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٩ نحن نقرأ هذه الآيات كلها ونحفظها ونعرفها ونأتي نقول ما هو العلو؟ أي شيء غير الذي في قلوبنا، لا نشعر أننا ممكن ندخل فيه! وهذا العلو لو عرفته ستره كثيراً موجود في نفوسنا.

^٨ سورة القصص آية ٤

^٩ سورة القصص آية ٨٣



العلو لا بدّ أن أكون أحسن من كل الناس عند الناس، فقبله قلبه الناس، اقرؤوا عنه ستلاحظون أن هناك ممارسات كثيرة في الليل والنهار تصدر منا على منحى العلو، كأن تشعر أنه لا بدّ لكل الناس أن يضعوك في المكان الصحيح.

أنتم ستشققون طريقكم في الحياة وستعرفون أن أكثر مرض نعاني منه ويأتي بالفشل والتحطيم النفسي هو (العلو) دائماً لا تريد أحد أحسن منك، فربّنا يبتليك كل ما تذهب إلى مكان تجد أحد يقهر علوك، فيصبح هناك (تنافسية) لا تنتهي ويعرض القلب، وينظر الله - عز وجل - إليك وأنت تبحث وتستجدي مكانك عند الناس ولا تفكر في ميزانك عند الله! وكل الأزمة عندي هي (من أكون عند الناس؟) هذه الأزمة التي يعيشها الإنسان.

النبى - صلى الله عليه وسلم - نزل إلى السوق فوجد أعرابياً كان يرتاد النبى - صلى الله عليه وسلم - وهذا الأعرابي دميم الخلق، فاحتضنه النبى - صلى الله عليه وسلم - من خلفه وقال: ((مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟)) فعرف الرجل أن النبى - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يخاطب فقال: ((إِذَنْ بَحْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ كَاسِدًا)) كاسد عند الناس ليس لي قيمة، قال له النبى - صلى الله عليه وسلم - : ((وَلَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ!))^{١٠}.

التفكير أين ميزانك؟ توزن نفسك هنا عند هؤلاء أم تفكر في ميزانك عند الله؟! ولذا ورد في الحديث الذي يدل على الأمر الذي نحن مشتغلين به: ((مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ صِيْتٌ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ صِيْتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنًا وُضِعَ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا كَانَ صِيْتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئًا وُضِعَ فِي الْأَرْضِ))^{١١} ومعنى صيت: سُمعة، هذا الذي نحن باذلين أنفسنا من أجله، فلو فكّر الواحد فينا أن تطهير القلب لله يعني رفعة ميزان عند الله يعني صيت في السماء يعني إلقاء في الأرض، لسدت عليه كل حاجاته!

فما أطيب التوحيد لأهله! تصبح لا تفكر إلا في واحد لو رضي طابت الدنيا، هذا الكلام باختصار وأنتم بعد ذلك ربي ينفعكم به وتُفَعِّلوه في نفوسكم وتجعلوه خطة.

أول خطوة لتزيين القلب لنظر الرب : تطهير القلب من الأمراض:

ومن أجل أن نظهر القلب من الأمراض لا بدّ أن أجعل عيني على قلبي، لكن أنا مهما فتشت قد لا أشعر! فنعمل خطة من أجل أن نقوم بعملية التطهير نعمل ثلاثة خطوات داخل التطهير:

الأمر الأول: تعلّم ما هي الأمراض؟ لا تضعها كلها فوق بعضها، العلو ليس نفس الكبر ليس نفس الحسد،

كل واحد عبارة عن مرض مختلف له تفاصيله.



^{١٠} رواه ابن حبان في صحيحه (باب المزاح والضحك) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

^{١١} أخرجه البيهقي في الزهد (٢/٣٠٩ رقم ٨٢٠) . وأخرجه أيضاً: البزار كما في مجمع الزوائد (١٠/٢٧١) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح . والطبراني في الأوسط (٥/٢٥٧) ، رقم ٥٢٤٨ وابن عدي

(٢/١٦٣) ترجمة ٣٥٢ الجراح بن مليح) وقال : حديثه لا بأس به ، وهو صدوق ، ولم أجد في حديثه منكراً .



الأمر الثاني: لا بدّ أن نشغل بملاحظة تربية الله لنا، فمن رحمة الله بنا أنه لا يتركنا مرضى ولا يبيّن لنا مرضنا فكما أن هناك المرض الحسي (المريض يسخن، المريض يحصل له طفح جلدي فيذهبوا به إلى الطبيب) ومريض القلب كيف يظهر الله له مرضه؟! تمرّ عليه مواقف وأحداث يظهر فيها انفعالات لقلبه تظهر في السطح، من أجل ذلك نحتاج الخطوة الثالثة.

الأمر الثالث: ضع عينك على قلبك وقت الحدث، ماذا كانت ردة فعلي؟ لا نزكي نفسنا، إنما وقت الحدث ماذا كانت ردة فعلك الحقيقية لتعرف حسد من هنا، حقد من هنا، تعرف كيف دخلت عليك الأمور.

إذن الأمراض التي بداخل قلوبنا تظهر لنا أو لا تظهر؟! تظهر.

ما معنى تربية الله؟ تمرّ علينا مواقف وأحداث توصلنا إلى أن نعرف من نحن، إذن هذا بداية التطهير، لما تكون في بيوتنا بقعة الأوساخ التي نهتم بها ونأتي لها (بمنظّفات) ولما تكون في وجهك (حبّة) فالأعمال الشاقّة التي تقومين بها من أجل مظهرك تحتاج أضعافها من أعمال شاقّة في قلوبنا فمن أجل أن نقوم بعملية التنظيف نريد ترتيب.

لما تريد أن تدرس ماذا تفعل؟! ترتب أوراقك لكل مادة، وأيضاً وتضع الأمور في مصافّها، وبما أن غداً اختبار إذن ستدرس لغدٍ وترتب الأولويات والاهتمامات، فترتيب الأولويات واضح في عقلمنا.

قلوبنا في كثير من الأحيان تفسد بسبب عدم ترتيب الأولويات، مثلاً في المهموم نهتم بأمر لا قيمة لها فتسبب الطغيان على الأمور المهمة.

مثال: بينك وبين زميلك مشكلة، وبدأت تكتب له القصة، فلما دخل وقت الصلاة وقمت تتوضأ وقلبك مشغول بما كتبه وما ينبغي أن تكتبه، مع أن الضوء يحتاج إلى جمع القلب على مجموعة نيات ومقاصد لأنّ الله ينظر إليك، وخصوصاً في حال العبادة، لا بد أن تتوضأ وأنت تقصد طاعة الله وعبادته فيكون قلبك لله وتقصد به متابعة النبي - صلى الله عليه وسلم .، إلى آخر قطرة تنزل من يدك ومن عينك ووجهك تقصد به المغفرة، فهذه الحالة انشغلت عنها بخلافها.

فنتيجة عدم ترتيب الأولويات يحصل للقلب خلط للأمر، أنت تحاول أن تنظف قلبك وتطهره من الأمراض، فإذا ضعف ترتيب الأولويات غالباً النتيجة أننا نفقد الشيء المهم، فينظر الله لنا ونحن في جهة ورضاه في جهة أخرى! تصوروا هذا في موقفنا الآن؛ أنا انظر لأعينكم وأي أحد مرّ أمامكم غالباً أعينكم ستذهب مع المارّ، أنتم لا تشعرون بذلك والناظر إليكم يرى أعينكم ويشعر بقلوبكم تذهب معه ويبقى واقف منتظر أن ترجعوا! هذه هي الحالة.

ونحن نقف بين يدي الله والله ينظر إلى قلوبنا وهي تنظر لجهة أخرى! من أول ما تكبّر إلى أن تسلّم، إذن المشكلة في الأولويات، لا تفهم أن الأولى هنا أن قلبك يكفّ عن كل شيء، تعرفون كل ما نفكر فيه أثناء الصلاة كأنه اجتماع مع الشيطان، واحد جالس يجتمع مع الشيطان ويقرر له الشيطان كل الأفكار، ينتهي يقول ما شاء الله خرجت بأفكار



جيدة من الصلاة! وهذا كان اجتماع مع الشيطان، فالملقود الحياء، أين الحياء؟ أن الله ينظر إلى قلبي وقلبي ينظر إلى غيره.

خطوات تزيين القلب لنظر الرب:

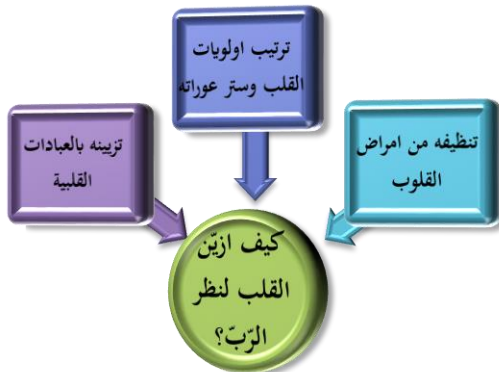
الخطوة الأولى: اجث عن أمراضك والله يكشف لك إياها بالمواقف والأحداث فتعرف من أنت. الخطوة الثانية: رب أولوياتك خصوصاً في الشأن الذي يكون شأن الله، وترتيب الأولويات أن تقف بين يدي من يده الملك، يكفيك ما أهّمك! تقف بين يدي من يسدّ عنك كل همومك، قف أمامه وعلّق قلبك به حيّيه قبل أن تنتهي الصلاة وأنت تقول: (التحيات لله) ولما تخرج تجد كل ما أهّمك قد سُد وانتهى.

وهناك قضية خطيرة جدّاً وهي ستر عيوب القلب، ونحن نزيّن نفسنا ونزين بيوتنا أكثر شيء يهّمنا أن نستّر عوراتنا، حتى لما يأتينا الضيف نحسه في غرفة أو غرفتين والباقي نسده، لأن في بيتنا عورات في الداخل، أغراضنا التي جمعناها وخبأناها، ثم لما نلبس نبذل جهودنا أن نستّر عوراتنا.

بقي القلب، القلب مليء بالعورات، ولذلك الله . عز وجل . في سورة الأعراف لما امتنّ على بني آدم بإنزال اللباس لهم قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ لباس التقوى من يلبسه؟ يلبسه القلب، كيف تنجسه؟ تنجسه بكونك ترتب الأهميات، تخيء الأمور، تخيء ما في القلب من أمراض حقيقية، تخفيها من أجل أن تصل إلى ستر عورتك. إذن معنى ذلك سنتفق على الأمور التالية، من المهم جدّاً أن نزين قلبنا لله، كيف يحصل التزيين؟ بثلاثة خطوات:

- ١- تنظيفه من الأمراض.
- ٢- ترتيب أولويات القلب وستر عوراته.
- ٣- تزيين القلب بالعبادات القلبية بما يقع في القلب من الخوف والرجاء والمحبة والشوق، فينظر الله . عز وجل . للعبد وهو قد أحبه، خافه، اتقاه.

التزيين مرحلة متقدمة لتصل إلى حد الزينة، لكن لا تفزع إليها، لا بد أن تمشي بالترتيب و الترتيب هو:



(١) التنظيف.

(٢) الترتيب.

(٣) التزيين.

من أجل أن تحصل هذه الزينة لا بد أن نفهم أمرين:
الأمر الأول: أنّ الله خلق قلوبنا مستعدّة للتزيين:



بمعنى أنّ القلوب فيها فطرة سوية فيها ميزان دقيق جداً تميّز به الحسن من القبيح، وانظر للعالم كله؛ هل يختلف اثنان على أن الإحسان للوالدين خير؟ لا، هل يختلف اثنان على أن الجود على الفقير خير؟ لا. إذن لما تأتي نزيّن قلوبنا لربنا لا بد أن نعرف أن ربنا قد أحسن بقلوبنا صنعاً، جعلها على أحسن صورة، الناس يختلفون عن بعضهم في صورتهم، هناك الجميل والأجمل لكن قلوبنا كلها تشترك في أنها جميلة تحب الجمال، كلنا على فطرة سوية والحمد لله، فطرتنا السوية فيها معالم مهمة أنّها تستحسن الحسن وتستقبح القبيح، فإذا كانت قلوبنا هذه صفتها إذن لما تأتي تزيّنها مباشرة تزيّن لأنّها مستعدة، كأننا نقول بكامل زينتها، فقط بقي أن الخلط الذي دخل علينا في الحياة نقوم بعمليات التطهير له.

حتى الجميل من الناس في شكله يتسخّ ويحتاج ترتيب، نفس الصورة قلوبنا دخلت في الحياة وأنت تردّها وتزيّنها، هي جميلة بما فيها من فطرة سوية تستحسن الحسن وتستقبح القبيح، بقي أن نظفها من الأوساخ ونرتبها ثم نضع عليها الجمال.

إذا كانت جميلة إذن هذه الأوساخ من أين تأتي؟ تأتي هذه الأوساخ ابتلاءات، ويمرّ على الإنسان في حياته أشياء خصوصاً في شبابه تسبب له ندباً وأثراً في وجهه، ألا يظهر لكم حب الشباب ثم يعمل لكم آثاراً؟! هكذا في الحياة تدخل في مواقف وأحداث وقلبك يصبح فيه أمراض وتعمل لك ندب وأثر في قلبك. كيف أعرف الأمراض والندب؟!

بالمواقف! ربنا لا يتركنا، ربنا يربينا بالموقف بعد الموقف لنكتشف أين أمراضنا، من يكتشف أمراضه؟! من يضع (المرأة) ويلاحظ قلبه، ليرى ما ردة فعله على المواقف (حسود، غيور، متكبر، عنده علو) إلى آخر الأمراض الكثيرة، لكن من يترك نفسه تائهاً ويقول أنا لا أخطئ ولا أحسد وأحب كل الناس وأنا أخلاقي سامية، من يفعل هذا يغرق في الأمراض وينتهي.

زينة القلب لله أن يبقى شعورك يقظاً لله، هذه تبقى مشاعرك التي هي مادة القلب.

ولذا أختتم اللقاء بالكلام عن المشاعر ومنزلتها بالنسبة لنا: المشاعر عطية من الله أعطهاها الناس من أجل أن يركبوا فيصلوا إليه، الله لما أعطانا المشاعر لم يعطينا إياها لنبذرها، فالإنسان دوره في الحياة أن يشغل شعوره بحقائق الإيمان، أنت تسير في الأرض لكن هناك الملائكة في السماء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصفهم: ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّقَتْ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ)) هذا صوت من الثقل، ((مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى))^{١٢} نحن مشاعرنا بينها وبين هذا العالم الموصوف مثل هذه الجدران (خرسانة) تقطع علينا الشعور! لكن لما يرق ويرق ويرق القلب

^{١٢} رواه الترمذي وقال حديث حسن، قال الإمام النووي في شرح رياض الصالحين: (أطت) معناه أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أنقلتها حتى أظت.



إلى درجة أن يصبح بينك وبين حقائق الإيمان كأنها زجاجة ترى الحقائق ولا تلمسها، فلما يقال تعال اجلس مجلس والملائكة تحفه، تشعر أن الملائكة تحيط حقيقةً، لكن لما يكون هناك حاجز لا تفكر إلا في الناس الذين هم أمامك. مثله كثير من الأطباء يكونون في لحظات مع المرضى الذين يحتضرون تقولي للطبيب أو الطبيبة ملائكة الموت هنا على مدّ البصر إذا كان في قلبه حاجز فليس هناك أبداً مشاعر! إذا كان القلب رقيق وخفيف يصل إليه، ففي السماء (الله والملائكة والجنة، وما توعدون من خيرات) لكن بيننا وبين هذه الحقائق فقدان المشاعر، أين ذهبت المشاعر؟ صُبت على الدنيا، ولما صبت على الدنيا ذهبت مادة الحياة!

ذهبت مادة الحياة

إذا صبت المشاعر
على الدنيا

فالذي نفعله في أنفسنا أننا ننفق رأس مالنا المشاعر في التافه والأتفه! وكل يوم نقول لأنفسنا أحب هذه الساعة، أحب كذا وأحب أحب ونصرف هذا الحب على الذي ما يستحقّ ومالا يستحقّ ثم ماذا سيبقى؟! لن يبقى معك شيء!!

لو أردت أن تزين قلبك لنظر الله، حافظ على مشاعرك، فمشاعرك رأس مالك، الله خلق لك المشاعر من أجل أن تصل إليه فلا تبذرهما، وأنتم تعرفون أن المبشرين إخوان الشياطين، ونحن على اختلاف أشكالنا ألواننا أوضاعنا أحوالنا، نشترك في فطرة سوية وفي مشاعر جياشة، لكن خلقنا الله من أجل أن تكون مشاعرنا وسيلتنا إليه نجبه نرجوه نخافه نشغل بحقائق الإيمان، لكن كما اتفقنا اشتغال المشاعر بالله وبحقائق الإيمان إنما هي خطوة رقم ثلاثة، لا بد أول الأمر أن: تظهر قلبك. ترتب أولوياتك. ثم تشغله بالمشاعر (الأعمال القلبية).

فتجد قلبك فارغ بمشاعره فتتعلم عن الله فتجد نفسك إليه مشتاق، تذكره في كل حين، تقرأ الفاتحة تجد نفسك ترجوه حقاً ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تقرأ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ و قلبك ممتلئ بآثار رحمته، تناديه يلطف بك وذاكرتك ممتلئة بالطفاه، لا تكون فارغ المشاعر، كل اسم من أسمائه سيحتوي معنى عميق في داخلك. لما يأتي من يقول لك صف الله تقول أصف لك الله الذي رأيت آثار رحمته وحكمته ولطفه وقربه ومناجاته، تتكلم وأنت تعيش المشاعر، وليس في هذه العلاقات بعد تزيين القلب مع الله كذب ولا خداع، لأن كل همك أن ينظر الله إليك وقد زينت قلبك بالإيمان.

أسأل الله أن يرزقني ويرزقكم الإيمان وجماع اليقين فإن اليقين اسم لحالة يمرّ بها الإنسان يسمو فيها على الدنيا ويرجو أن يلقي ربه وهو راض عنه، اسأل الله أن يجمعنا في جنات النعيم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.